المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي في سوق أهراس 1830-1871

Popular resistance in the area of Souk Ahras 1830-1871

د. منادي عثمان* جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق اهراس (الجزائر)
menadi.athmane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/06/05 تاريخ القبول: 2022/06/13 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص:

قبيل الغزو الفرنسي كانت منطقة سوق أهراس مقاطعة إدارية تابعة لبايلك الشرق، بقيادة الحاج أحمد باي غير أن علاقة الحكم لم تكن مثلما كانت عليه منطقة قسنطينة بسبب طبيعة نظام القبيلة في سوق أهراس، ولهذا بذل أحمد باي جهودا لاستمالة القبائل والحفاظ على سلطة الدولة العثمانية بشكل مباشر.

بعد إحتلال منطقة عنابة من الشمال، ومنطقة قسنطينة من الغرب بدأت القيادة الفرنسية في التخطيط للتوجه نحو باتنة وتبسة وكان نجاحهم في ذلك مرتبط بالاستيلاء على منطقة سوق أهراس ذات الأبعاد الجغرافية والاجتماعية المعقدة.

لذلك لجأت قيادة الجيش الفرنسي إلى عمليات استطلاعية، وجس النبض عن طريق بعض المتعاونين معها، دون التوغل في أراضي قبيلة الحنانشة، فقدأرسلت فرنسا أول فرقة عسكرية بقيادة الرائد "جاميت" في 08 فيفري 1839 من أجل نصرة الشيخ الرزقي، لكنها فشلت واستقرت في قالمة.

جهزت فرنسا أول حملة لأحتلال منطقة سوق أهراس بقيادة الجنرال راندون بحامية عسكرية قوامها 1000 جندي، إنطلاقا من قالمة مرورا بمنطقة عين السودة القريبة من سدراتة، لكن الحملة فشلت الحملة .

في نهاية خريف 1842 م عينت القيادة الفرنسية الجنرال "براغوي ديلار" لقيادة حملة إخضاع منطقة سوق أهراس وقرر إعتماد خطة جديدة تقوم على إختراق المنطقة من جميع الجهات، ولم يعتمد على غزو المنطقة من جهة الغرب، كما فعل سابقوه وإعتمد خطة تقوم على عنصر المباغتة والمواجهة على ثلاث جهات في وقت واحد لإضعاف أي محاولة لتنسيق المقاومة ونجح في ذلك، ووصل يوم 25 ماي 1843 إلى سوق أهراس.

*- المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: المقاومة الشعبية – قبيلة الحنانشة- منطقة سوق أهراس – حملة احتلال سوق أهراس – الشيخ الرزقي

Abstract: Prior to the French invasion, the Souk Ahras area was an administrative district belonging to the Beylik of the East, led by Haji Ahmed Bey. However, the governing relationship was unlike that in the Constantine region owing to the nature of the tribe's system in Souk Ahras, the reason why, Ahmed Bey made efforts to win over the tribes and directly maintain the authority of the Ottoman Empire.

After the occupation of the Annaba region from the north, and the Constantine region from the west, the French command began planning to move towards Batna and Tebessa, and their success in this was dependent on prevailing of the Souk Ahras region, which has complex geographical and social dimensions.

Hnece, the command of the French army resorted to reconnaissance operations, and probing through some of its collaborators, without incurring into the lands of the Hanansha tribe. France sent the first military squad led by Major "Jameet" on February 08, 1839 for the purpose of supporting Sheikh Al Rizki, yet, that didn't work out and settled in Guelma instead.

France set the first campaign to occupy the Souk Ahras area, led by General Randon, with a military garrison of 1,000 soldiers, starting from Guelma, passing through the Ain Al-Souda area near Sedrata, but the campaign didn't see the light of day

Keywords: Popular Resistance - Hanansheh tribe - Souk Ahras area - The campaign to occupy Souk Ahras - Sheikh Al Rezki - The second military campaign and the occupation of the Souk Ahras area, 1843.

مقدمة:

تعد الدراسات في التاريخ المحلي اللبنة الأولى لكتابة التاريخ العام لأي منطقة، وتأتي هذه الدراسة ضمن التعريف بتاريخ المنطقة الذي لم يحظى بحقه في الدراسات الأكاديمية ، فهي تزخر بمواقع أثرية

تزيد عن المائة منها مدن متكاملة، وما حظي منها بالدراسة إلا الجزء اليسير ، مثل مادور وخميسة المستوطنتين الرومانيتين الشهيرتين في ولاية سوق أهراس لذلك سميت قديما بيت الكنز [1].

وهذا النوع من الدراسات المهمة، أولتها الجامعات الغربية منذ عصر النهضة اهتماما متزايدا، وذلك لأن التاريخ المحلي وتطوراته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والإدارية يمثل الوحدة الحيوية والجزء الفعال من حركة التقدم الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات [2] .

والواقع أن دراسة التاريخ المحلي حيوي وفعال، إذ أن فهمه سيؤدي إلى تقوية الروابط الثقافية في الوقت الراهن والتي لا تكتمل إلا بالرجوع إلى الإرث الحضاري، وخاصة أن منطقة سوق أهراس[3] شهدت تطورات متنوعة عبر العصور [4] .

إن الباحث في تاريخ سوق أهراس يجدها أن في قلب الأحداث التي عرفتها الجزائر على مر العصور ،

وقد إكتسبت مكانتها خلال الحكم العثماني أكثر مع بروز قبيلة أحرار الحنانشة[5] و التي ذكرها شارل فيرو [6]، هذه القبيلة التي لعبت دورا بارزا في التطورات السياسية التي شهدها الشرق الجزائري حتى سهول عنابة بالشمال [7] منذ بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي[8] .

---

[1]- الطاهر جبلي: دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954-1962، د.ط، دار الامة، الجزائر، 2015، ص.19.

[2]- أحمد توفيق المدني: جغرافيا القطر الجزائري، الناشئة الإسلامية، د.ط، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1948، ص.97.

[3] -LOUIS PIERRE ITNIERAIRE HISTORIQUE ET DESERPITIF DE L'ALGERIE ,PARIS ,1862 ,P.476.

[4]- أحمد صقر: مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، د.ط، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959، ص.353.

[5]- قيل أنها قبيلة أمازيغية (شاوية) ، كانت زعامتها في نهاية العهد العثمانيين وبداية الإحتلال الفرنسي ، وقيل هم بلا شك، بنو بعرة بن حناش بن ونيفن الهوارة، الذين ذكرهم ابن خلدون، وهو القول الذي أخذ بهِ الكاتب العسكري الفرنسي(Feraud) ، والذي ذهب إليه (De Slane) أيضا، في ترجمته لجزء "تاريخ البربر"، من تاريخ ابن خلدون.

1- أهمية سوق أهراس في الفترة الاستعمارية:

سوق أهراس مسقط رأس القديس أوغسطين والتي تعتبر أهم المناطق التي جذبت الإحتلال الفرنسي الذي عمل على إرساء الاستيطان بها فتعرضت المنطقة للهجوم بهدف حماية المستوطنات الفرنسية[9] ،وتكمن أهمية المنطقة في إستراتيجية الطرق القديمة بها ، كالطريق الرابط بين عين البيضاء وخنشلة وسوق أهراس التي كانت تراه سلطات الاحتلال منفذ لتوجيه حملات ضد النمامشة أو أي منطقة على الحدود التونسية التي تتعرض للخطر[10]، وكانت سوق أهراس منطوية تحت سلطة الحنانشة[11]، وأثناء ثورة 1871م ثار صبايحية سوق أهراس في 22 جانفي 1871م ومثلت أولى عمليات التمرد.

وكانت سلطات الاحتلال قد أرسلت القوات الفرنسية من قسنطينة يوم 19 جانفي أي أربعة أيام قبل تمرد الصبايحية وكانوا على علم بقدوم الحملة الفرنسية التي تدعمت بفيالق من بونة ومن

وقد كتب الرحالة الإسباني (Marmol) عنهم فعدهم في بطون العرب الداخلين أفريقية في (القرن 11م)، وقال أنهم (أولاد حناش)، من بطون عياض، من قبائل الأثبج الهلالية، الموطنة بجبل القلعة. وأخذ (Carette) برواية (Marmol)، هو الآخر، وتبعه في ذلك كثير ممن كتب عن الحنانشة. إبن خلدون: المصدر السابق ، ج6 ، ص 195.

[6] - Charles féraud, Les Harar seigneurs des Hanencha, études historiques sur la province de constantine, Revue Africaine, volume 18, Année 1874, Alger, A.Jourdan, libraire-éditeur, 1874,pp394-396.

[7] . يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ج ،2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992ص ،23.

[8] - عبد الرزاق قشوان: السلطة المحلية في بايلك قسنطية (936 هـ -1253 هـ ، 1592 - 1837 م) ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02 ، 2009-2010 ، ص67.

[9]- Le Vte de Caix de Saint-Aymour, Questions Algériennes Arabes et Kabyles, Paris, Paul ollendorff, éditeur, 1891, P122.

[10] - Charles féraud, Ain Beida (province de constatntine), Revue Africaine, volume 16, Année 1872, Alger, A.Jourdan, libraire-éditeur, 1872, . P405.

[11] - Charles féraud, op cit , . P22.

بوش دي رون القادمة من فرنسا وتمكن الجنرال بيجو من القضاء على إنتفاضة سوق أهراس[12]، التي كانت من ذوي البلديات المختلطة الموجودة في المقاطعات منذ 1879م[13].

وبعد صدور القرار الحكومي في 12 ماي 1879 م تحت الإشراف المباشر للحاكم العام أصبحت من المناطق الأولى التي أنشأ بها المكاتب العربية وهي تعني بمصالح الأهالي ، و كانت دائرة تابعة لمقاطعة عنابة وبها مكتب عربي[14].

كما عملت سلطات الإحتلال على سن مجموعة من القوانين ففي مجال العدالة عرف القطاع تعديلات سنة 1877م وبمقتضى مرسوم 6 أفريل تم تقسيم المحاكم الابتدائية إلى عدة أقسام وإندرجت سوق أهراس في القسم الثالث[15]، كما كانت بها بعض المرافق كالمستشفى الذي كان يتسع إلى 17 سريرا يقدم خدمات بسعر 2.45 فرنك لليلة[16]، وفي مجال الإستيطان ولتحسين الخدمات كانت بسوق أهراس مراكز الخصم وصناديق فلاحية مرتبطة بالقروض الفلاحية التي تخدم الاستيطان بالمنطقة[17]، كما تعتبر من المناطق التي برمجت بها مشاريع السكة الحديدية كالخط الرابط بين قالمة وعنابة إلى سوق أهراس، كذلك كانت تتميز بثراء غطاءها النباتي وبتنوعها البيولوجي ففي سنوات 1879 م كانت بغاباتها الأسود والفهود والحيوانات البرية التي إنقرضت بسبب الصيد العشوائي[18].

---

[12] - Charles féraud, Documents pour servir à l'Histoire de Philippeville, Revue Africaine, volume 20, Année 1876, Alger, A. Jourdan, libraire-éditeur, 1876, P.100-101.

[13] - M.Albert Grévy, état actuel de l'Algérie, Alger, Imprimerie Administrative Gojosso et cie, 1880, P.29.

[14] - M.Louis Tirman, Etat actuel de l'algérie, Alger, Imprimerie Administrative Gojosso et cie, 1881, P.65-66.

[15] - M.Le Génaral Chanzy, M.Le Myre de Vilers, état actuel de l'Algérie, Alger, Imprimerie Administrative Gojosso et Cie, 1878, P.130-131.

[16] - M.Louis Tirman, état actuel de l'Algérie, Alger, Imprimerie de l'association ouvrière P.Fontana et cie, 1883, P.36.

[17] - Lacanaud, E, L'Algérie au point de vue de l'économie sociale, Alger-Mustapha, Giralt, Imprimeur-Photograveur, 1900, P.47.

[18] - Paul Bourde, à travers l'Algérie, souvenirs de l'excursion parlementaire (septembre-octobre 1879), Paris, G. Charpentier, éditeur, 1880, P.52.

وتعتبر من أجمل المناطق كما يصفها "ألفريد بارودون" في كتابه الشهير حول "الجزائر وتونس": رحلة سفر ودراسات، فهو يصف الطريق الرابط بين عنابة وتونس عبر سوق أهراس، أجمل المناظر الطبيعية تكسوها أشجار البلوط، وتتخللها الأودية[19] وفي هذا تقديم لسوق أهراس التي حضت بإهتمام وعناية سلطات الاحتلال لأهميتها الإستراتيجية كمنطقة باستقطاب للاستيطان وملتقى الطرق بين مناطق أساسية للاستعمار الفرنسي بالبلاد ونقطة لمراقبة المناطق الحدودية.

2- المقاومة الشعبية :

المقاومة هي رد فعل لمواجهة العناصر الدخيلة رفض تقبلها، وهي التصدي للإعتداء التي تقوم بها أطراف خارجية وما دام الجزائريون لم يستجيبوا للأوضاع المفروضة عليهم فهذا يعني أنهم ما بين عام 1830م و عام 1962 م في مقاومة، وقد عرفت بنبلها وإصرارها طيلة قرن من الوجود الاستعماري، وإتسمت بالرفض المطلق للوجود الفرنسي ومحاولات فرضه بالمناورات والأساليب والإغراءات حيث إتخذ هذا الرفض طابع التحدي المتصلب للقرارات والإجراءات الاستعمارية سواء كانت قانونية أو إدارية أو عسكرية حتى لو كانت حضارية ثقافية[20] ، تعد فترة 1830-1919 من بين الفترات الحاسمة للاستعمار الفرنسي الذي وجد نفسه بين خيارات في تحديد مصير هذا الغزو فقد كان عليه أولا مواجهة المقاومة الشعبية التي لم يكن يثنيها شيئ في التضحية من أجل والدفاع عن أرضهم [21].

2-1- مراحل المقاومة الشعبية:

لقد إندلع لهيب المقاومة الشعبية المسلحة منذ الوهلة الأولى التي وطأت فيها أقدام الغزاة الاستعماريين الفرنسيين في الجزائر. فما إن إنهار الحكم المركزي في مدينة الجزائر، حتى أخذ شيوخ القبائل والزوايا من الأعيان والعلماء على عاتقهم مهمة تنظيم صفوف الشعب الجزائري، وشحذ همم أرضه وعرضه ودينه، وكان لهذا التحرك مفعوله في تنظيم الكفاح وعبر الشعب الجزائري عن رفضه

---

[19] - Alfred Baroudon, Algérie te Tunisie : récits de voyage et études, Paris Librairie Plon, 1893, P.224.

[20]- عبد القادر نايلي: المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية، د/ط، دار الهدى، الجزائر،2013، ص40 .

[21]- جمال خزشي: الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، تر عبد السلام عزيزي، دط، دار القصبة، الجزائر، ص59.

للاستعمار بأشكاله المختلفة بالانتفاضات والثورات والجهاد، لقد مست هذه الثورات والانتفاضات كل جهات الوطن غير أن عدم التنسيق فيما بينها وتعدد القيادة قد أثر سلبا في تحقيق أهدافها العسكرية.

وتمتد مرحلة المقاومة الشعبية من تاريخ دخول الفرنسيين الجزائر سنة 1830 إلى حوالي 1920، آخر المقاومات المسلحة التي قادها في شرق الجزائر (صبايحية) وقد إصطلحنا على تسميتها بمرحلة الوطنية العفوية إشارة منا إلى العناصر الفكرية والروحية الخام التي كانت صمام الإنسان الجزائري وحافزه في الدفاع عن وجوده المادي والمعنوي ضد خصمه[22] ،وقد مرت المقاومة الشعبية في الجزائر بمراحل وتطورات عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

- **المرحلة الأولى:** ما بين(1830- 1848):

تميزت بالمقاومة المسلحة والمقاومة السياسية للوجود الفرنسي، وقد كان للمقاومة المسلحة في هذه المرحلة زعماء معروفون ورجال غير معروفين، وهناك أشخاص قاوموا وهم مجهولون، وقد كانوا ينبهون الناس ويؤلفون اللجان ويكتبون في الصحف ويراسلون بعضهم البعض من أجل تنظيم المقاومة وتخطيطها ضدالاحتلال الفرنسي في الجزائر وقد مثلت جميع معالم الدولة الجزائرية ، ذلك أن هذه المقاومة لم تكن تتمثل في أشخاص فقط بل كانت تتمثل في شعب رافض للإحتلال، فهي إذن إرادة جماعية تلقائية لا تحتاج في كثير من الأحيان إلى زعامة أو قيادة[23].

- **المرحلة الثانية:** (1848 – 1871):

وقد تميزت هذه المرحلة بالمقاومة المسلحة التي خرجت من المدن إلى الأرياف والجبال والصحاري وتمثلت في زعامة المرابطين وشيوخ الزوايا والعلماء والأعيان اللذين قادوا هذه الثورات والمقاومات وذلك أنه بعدما رسخ الفرنسيون بوجودهم على السواحل والمدن، وقامت الجمهورية الفرنسية الثانية أصدرت قرارا في مارس 1848م ينص على أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي، فاتجهت الآلة الاستعمارية نحو المناطق الداخلية والنائية لإتمام عملية الإحتلال الكامل للجزائر، لكنها إصطدمت في طريقها بالثوار الأحرار الرافضين للاحتلال فاندلعت عدة ثورات ومقاومات.

المرحلة الثالثة:

[22]- الصادق بحوش: الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية مقاربة في دراسة الخلفية، دط، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 17.

[23]- ابراهيم مياسي: المقاومة الشعبية، دط، دار مدين، الجزائر، 2008، ص13.

وتمتد هذه المرحلة إلى آخر القرن التاسع عشر ، حيث عرفت البلاد عدة إنتفاضات وثورات ضد هذه السياسة منها على الخصوص ثورة الصبايحية في سوق أهراس[24] .

2-2- التنظيم العسكري للمقاومة في منطقة سوق أهراس :

أ - المتطوعون:

شكل المتطوعون الجزء الأكبر من قوات المقاومة الشعبية فمنذ الإعلان عن الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي بادرت بعض قبائل المنطقة بتقديم يد العون ، حيث تم تزويدهم بالمقاتلين ، ولقد كان هؤلاء المتطوعون أناسا عاديين لم يحترفوا الجندية فمنهم من كان فلاحا يدفعه الحماس الديني والشعور بالانتماء إلى الوطن لقتال المحتل الفرنسي[25] فمعظمهم كان يتحمل النفقات الخاصة بالجهاد من أحصنة وأسلحة ومؤونة، غير أن أكثر المجاهدين، كانوا لا يملكون تلك الإمكانيات فكانوا ينضمون على شكل فرق من المشاة بعد أن يتم تزويدهم بالسلاح من ميزانية الدولة الجزائرية والتي لم تكن قادرة في أغلب الأحيان على تغطية جميع مستلزمات القتال للمجاهدين ،

لقد واجهت منطقة سوق أهراس عدة صعوبات أهمها مشكلة تموين المتطوعين وكذا مشاكل التنظيم والتدريب التي كانت تعاني منها القوات الوطنية في مواجهة جيش الاحتلال الفرنسي[26]، و اعتمد الجيش عدة طرق لجلب الأسلحة سواء من داخل الجزائر عن طريق بعض القبائل الجزائرية أو من المصانع الجزائرية التي أنشأت لتموين قوات الجيش[27] .

ويعتبر الدعم بالأسلحة والعتاد من داخل الجزائر واجبا يفرضه الدفاع عن البلاد على جميع القبائل الجزائرية بينما كانت كميات كبيرة تجلب من الخارج بواسطة وكلاء تجاريين إعتمدتهم الدولة الجزائرية في إطار التبادل التمويني[28]، وبالرغم من هذا كان الجيش يعاني من قلة الأسلحة فحالة الحرب كانت تؤدي إلى نقص الموارد المالية وهو ما أثر بدوره على التموين حيث إستخدم الجيش في

---

[24]- إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 14.

[25]- سلاماني عبد القادر: الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية 1832- 1847، دط، دار قرطبة ، الجزائر ، 2013، ص38.

[26]- المرجع نفسه، ص 38.

[27]- المرجع نفسه، ص49.

[28]- المرجع نفسه، ص 50.

معاركه ضد قوات الاحتلال البنادق التي تنتجها المصانع الانجليزية والفرنسية وتستورد بعضها من إسبانيا [29].

ب - تعداد الجيش:

إن معظم الجنرالات الفرنسيون الذين واجهوا الجيش في المعارك كانوا على علم بقلة قوات المقاومة الشعبية التي كانت تواجههم من متطوعين، ففي معظم المواجهات لم يتعد تعدادها ثلث قوات الجيش الفرنسي ليصبح تعداد قوات المقاومة في سنواتها الأخيرة لا يقارن بتعداد الجيش الفرنسي بحكم الظروف السائدة من حرب ونقص في التموين أدى إلى إضعاف هذه القوات، فمعظمم كانت من المجاهدين المتطوعين[30].

3- أوضاع منطقة سوق أهراس قبيل الحملة الفرنسية.

كانت منطقة سوق أهراس مقاطعة إدارية تابعة لبايلك الشرق، بقيادة الحاج أحمد باي (*) غير أن علاقة الحكم لم تكن مثلما كانت عليه منطقة قسنطينة بسبب طبيعة نظام القبيلة في سوق أهراس ولهذا بذل أحمد باي جهودا لاستمالة القبائل والحفاظ على سلطة الدولة العثمانية بشكل مباشر وقد مرت علاقة الحاج أحمد باي بعرش الحنانشة عبر مراحل:

أ- **المرحلة الأولى:** 1826- 1830:

عندما تولى أحمد باي حكم قسنطينة سنة 1826 م أعاد ترتيب زعامات القبائل فعين قادة جدد وثبت قادة آخرين وكان من القادة الجدد الذين ظهروا في منطقة سوق أهراس الشيخ الرزقي بن منصور، قبل أن يتولى هذا الأخير سلطة الحنانشة، قام بتدبير مكيدة محكمة لقتل آخر شيوخ قبيلة الحنانشة أحمد بن علي، متهما إياه بالخروج عن سلطة الباي، فنال الرزقي بن منصور رضى ودعم الحاج أحمد باي فعينه شيخا على قبيلة الحنانشة، لكن الحادثة أثارت غضب كاتب الشيخ الحاج مبارك، وإبن أخيه الحسناوي وخلق عداء دائم بين الطرفين[31].

---

[29]- المرجع نفسه ، ص 51.

[30]- سلاماني عبد القادر، المرجع السابق، ص 52.

* الحاج أحمد باي: هو أحمد باي بن محمد الشريف بن أحمد القلي، ولد حوالي 1786 بقسنطينة، توفي سنة 1851 من سلالة لأسرة عثمانية من أم جزائرية الذي يعود نسبها لعائلة "ابن قانة"، أحد أكبر مشايخ عرب الصحراء مالا وجاها.

[31]- جمال ورتي: المرجع السابق ، ص 80، 81.

ب- المرحلة الثانية: 1830- 1837:

كان سقوط العاصمة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي يوم 05 جويلية 1830، سببا في أن يعيد أحمد باي دراسة أوضاع منطقة سوق أهراس، لمواجهة العدو، وكان لابد أن ينهي جميع ظروف التوتر وقادته من أجل توحيد جهود القبائل في مواجهة الاحتلال من هذا المنطلق دبر أحمد باي مكيدة للشيخ الحاج مبارك وابن أخيه الشيخ الحسناوي بإيعاز وتحريض الشيخ الرزقي، تقول الروايات التاريخية المتواترة أن أحمد باي كتب إلى شيوخ الحنانشة يدعوهم إلى اجتماع عام في مرج كحيل بسدراتة من أجل توحيد جبهة الجهاد ضد العدو الفرنسي واعدا إياهم بالأمان والتعاون، إستحسن الحاج مبارك الفكرة وتوجه رفقة إبني أخيه الحسناوي والبخاري، على مخيم الحاج أحمد باي بعين سنور، وهناك دعا الجميع إلى تناول الغداء، ما إن دخل الجميع الخيم. حتى أعطيت الشارة بإطلاق جميع أوتاد الخيام فوقعت على المدعوين من الحنانشة، وهنا استخدمت قوات الباي كافة الأسلحة للحيلولة دون نجاة زعماء الحنانشة وقبض على الحاج مبارك وابني أخيه وسيق الجميع مقيدين بالسلاسل إلى قسنطينة، وبمجرد دخولها شنق الحاج مبارك وابن أخيه البخاري، في حين أبقي الحسناوي حيا ووضع في السجن فلماذا أبقي عليه الباي حي.[32]

وإعتقادنا أن أسباب الابقاء عن الشيخ الحسناوي حيا تتلخص في:

- يعد الشيخ الحسناوي أحد أعيان قبيلة الحنانشة، فقد كان متعلما حافظا للقرآن محبوبا لدى السكان، وكان قتله في هذه المكيدة سيثير غضب الأهالي.
- الإبقاء على الشيخ الحسناوي حيا من أجل استخدامه وقت الحاجة ضد أعداء الحاج أحمد باي وهذا ما ذهب إليه شارل فيرو[33].
- شخصية الشيخ الحسناوي التي إكتشفها أحمد باي أثناء محاكمته وقدرته على إقناع الباي بعدم إعدامه وإنتظار إصدار حكم آخر لاحقا تمكن الشيخ الحسناوي من أن يتدبر أمر فراره من سجن قسنطينة إلى الحامة شرق قسنطينة، ثم توجه إلى منطقة حمام نبايل وإكتشف إحتمال إلقاء القبض عليه وتسليمه إلى الباي، فقررا التوجه إلى جبال سوق أهراس أين استقبله بعض أعيان عرش أولاد بشيح، ولكي يطمئن على حاله قرر المغادرة إلى الحدود التونسية بمنطقة الكاف حيث تتحدث الروايات التاريخية عن علاقات المصاهرة بين قبائل الكاف وقبيلة الحنانشة على طول الحدود وهناك وجد الشيخ الحسناوي حفاوة الاستقبال والأمان.

---

[32]- جمال ورتي: المرجع السابق، ص 81.

[33] - Fireaud .C. les h'rars des Hanenchas, p 369.

في هذه الفترة دخلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال "ديزار" مدينة عنابة عام 1832 م ، وكان ضعف منطقة سوق أهراس والصراع بين القبائل يخدم تقدم القوات الفرنسية نحو المنطقة.

بعد فرار الشيخ الحسناوي من السجن بدأ زعماء قبيلة الحنانشة يفكرون في تنحية الشيخ الرزقي من زعامة القبيلة. وعندما علم هذا الأخير بتحرك الزعامات طلب دعم ومساعدة الحاج أحمد باي لكنه إمتنع بحكم أنه كان في موقف ضعف وهو بحاجة إلى من يسانده لمواجهة الحملة الفرنسية القادمة إليه من الشمال هذا الأمر أثار سخط الشيخ الرزقي الذي بدوره إمتنع من مساندة أحمد باي في الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة عام 1836 م .

وخلال الفترة بين الحملة الأولى والثانية على قسنطينة ظلت أوضاع منطقة سوق أهراس على خلاف بين الشيخ الرزقي وزعماء الحنانشة، ولم يتمكن أحمد باي من معاقبة الشيخ الرزقي الذي رفض مساعدته في الحملة الأولى، كما لم يتمكن زعماء الحنانشة من إزاحة الشيخ الرزقي وكان عليهم الانتظار إلى ما بعد الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة سنة 1837 م [34].

ج- المرحلة الثالثة: 1837-1842:

بعد سقوط قسنطينة في يد الاحتلال الفرنسي فر (أحمد باي) إلى منطقة الأوراس وبسكرة حيث يوجد أخواله (عائلة بن قانة) وأراد أن ينظم المقاومة من جديد، وفي منطقة سوق أهراس ظلت الأوضاع مضطربة بين قيادة الشيخ الرزقي الذي طلب دعم الجيش الفرنسي وقيادة الحسناوي الذي طلب دعم الحاج أحمد باي.

كتب الرزقي الى الجنرال "تريزال" طالب حمايته ولكن الجنرال لم يقدم له أية مساعدة أما الشيخ الحسناوي فقد عزز مركزه بإنضمام أولاد خيار إليه وإزاء هذه الأوضاع كاتب الرزقي الماريشال "فالي" الموجود في قالمة طالبا مساعدته فعينه هذا الأخير شيخا على العرش[35].

أحدث تعيين الرزقي من طرف العدو الفرنسي موجة من الغضب الشعبي وصل إلى درجة تكفيره لاستعانته بالعدو الكافر.

لم يكترث الشيخ الرزقي بردة فعل قبائل الحنانشة وأرسل إبنه الطاهر إلى قسنطينة لطلب نجدة الفرنسيين ولم يكن حال الشيخ الرزقي يختلف عن حال القبائل المجاورة في فرجيوة والبرج وسطيف[36].

---

[34] - جمال ورتي: المرجع سابق، ص 82، محاضرات الدكتور منادي عثمان، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 2014/ 2015.

[35] - جمال ورتي: المرجع نفسه ، ص 82.

استجاب الجنرال "غالبوا" الذي تولى قيادة فرقة قسنطينة بعد الماريشال "فالي" لطلب الشيخ الرزقي وأمره بفرقة عسكرية بقيادة الرائد "جامين" عام 1839 م لكنها فشلت في الوصول إلى سوق أهراس فاستقرت في قالمة[37].

أدت هذه النجدة الفرنسية إلى غضب الحاج أحمد باي واتخاذ موقف معادي للشيخ الرزقي وتحوله إلى مناصرة الشيخ الحسناوي، وهو ما أعطاه شرعية لقيادة قبيلة الحنانشة بعد هذه المرحلة لمواجهة الاحتلال الفرنسي أثناء غزوه منطقة سوق أهراس[38].

4- الحملة العسكرية على منطقة سوق أهراس:

بعد إحتلال منطقة عنابة من الشمال، ومنطقة قسنطينة من الغرب بدأت القيادة الفرنسية في التخطيط للتوجه نحو باتنة وتبسة وكان نجاحهم في ذلك مرتبط بالاستيلاء على منطقة سوق أهراس ذات الأبعاد الجغرافية والاجتماعية المعقدة.

ويمكن تقسيم مراحل إحتلال منطقة سوق أهراس إلى مرحلتين:

- **المرحلة الأولى: المحاولات الأولى لغزو سوق أهراس.**

يعتبر الشيخ الرزقي أول شخصية يتصل بالعدو الفرنسي طلبا للسلطة والقوة، غير أن القادة العسكريين الفرنسيين كانوا حريصين على عدم المجازفة بجنودهم إلى منطقة لا يعرفون عنها شيئا وكانوا يدركون تماما مدى قوة الشيخ الحسناوي وقبيلة الحنانشة أمام الشيخ الرزقي الذي استقبله الجنرال "غالبو" في قسنطينة في 10 فيفري 1839 لم يكن معه إلا عشرة من الفرسان وهو ما أضعف موقفه.

لذلك لجأت قيادة الجيش الفرنسي إلى عمليات استطلاعية، وجس النبض عن طريق بعض المتعاونين معها، دون التوغل في أراضي قبيلة الحنانشة، فقد أرسلت فرنسا أول فرقة عسكرية بقيادة الرائد "جاميت" في 08 فيفري 1839 من أجل نصرة الشيخ الرزقي، لكنها فشلت واستقرت في قالمة، كما أسلفنا سابقا.

خلف إستعانة الشيخ الرزقي بالعدو الفرنسي، حالة غضب عام في منطقة سوق أهراس، فإضطر إلى نقل قيادة من سوق أهراس إلى قالمة قرب القوات الفرنسية لحمايته.

---

[36]- أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808- 1847)، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004، ص 188.

[37]- جمال ورتي: المرجع نفسه ص 82.

[38]- محاضرات الدكتور منادي عثمان تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 2014- 2015.

تولى قيادة منطقة قالمة الماريشال "بيجو" الذي وعد الشيخ الرزقي بتبعيته شيخا لقبيلة الحنانشة مقابل مساعدته في غزو سوق أهراس وظل الوضع على حاله في الفترة بين 1839 – 1942 إذ لم تقدم القوات الفرنسية على غزو المنطقة رغبة منها في التحضير الجيد وعدم المجازفة بجنودها في حرب مجهولة العواقب.

كان من المنطق العسكري أن تحكم فرنسا قبضتها على المناطق المحيطة بسوق أهراس، خاصة قالمة وجبالها، ونجحت في ذلك بعد قدوم الجنرال راندون[39].

- **المرحلة الثانية: الحملة العسكرية الأولى (الاستطلاع):**

بوصول الجنرال راندون قلو توجيه الحملة لاحتلال سوق أهراس وقاد حامية عسكرية قوامها 1000 جندي، إنطلاقا من قالمة مرورا بمنطقة عين السودة القريبة من سدراتة، لكن الحملة فشلت بسبب الاختيار السيء لمسار الحملة فقد كانت الجبال عائقا للقوات الفرنسية مساعدا لقبائل الحنانشة في صد الحملة رغم أن الفرنسيين اعتمدوا على السكان المحليين المتعاونين في الدخول إلى منطقة سدراتة إلا أن قادة قبيلة الحنانشة تفطنوا إلى إختراق الجيش الفرنسي للمنطقة ونصبوا كمين في جبال كاف الريح تمكنوا من خلالها من قتل عشرات الجنود اختلفت المصادر التاريخية في تحديدها[40]، وفي المقابل تمكنت القوات الفرنسية من الاستيلاء على رؤوس الماشية التي كانت ترعى في المنطقة والمقدرة بالمئات.

ورغم فشل الحملة إلا أن القوات الفرنسية نجحت في جس النبض والاستطلاع على المنطقة وهو ما أعطى نظرة للقيادة العسكرية الفرنسية بضرورة الإعداد الجيد للحملة القادمة.

- **الحملة الثانية واحتلال منطقة سوق أهراس 1843:**

في نهاية خريف 1842 م عينت القيادة الفرنسية الجنرال "براغوي ديلار" قيادة فرقة قسنطينة العسكرية وكان قائدا عسكريا بارزا شارك في الحروب الأوروبية الفرنسية جمع هذا الجنرال كل المعلومات عن الحملات السابقة بمنطقة سوق أهراس وقرر إعتماد خطة جديدة تقوم على إختراق المنطقة من جميع الجهات، ولم يعتمد على غزو المنطقة من جهة الغرب، كما فعل سابقوه وبعد أن ضمن إخضاعه لكل المناطق والقبائل المجاورة لسوق أهراس كما فعل عندما قضى على مقاومة "سي زغدود" في منطقة عنابة.

---

[39]- جمال ورتي: المرجع سابق، ص 85.

[40]- يشير الباحث جمال ورتي أن خسائر العدو الفرنسي تتمثل في 200 جندي بين قتيل وجريح. أنظر: جمال ورتي، المرجع السابق، ص85.

إستقر في قسنطينة ومنها جهز ثلاثة مجموعات عسكرية لمهاجمة عرش الحنانشة على النحو التالي:

- رتل عسكري قاده من قسنطينة تحت قيادته المباشرة وتكون من 06 كتائب من المشاة – 450 من الفرسان والصبايحي، قطعتين من المدفعية، 50 من رجال الهندسة.
- رتل قادم من قالمة الذي كان يقوده العقيد "هاربيون" وكان يتكون من تشكيلية من الصبايحية – 03 كتائب من المشاة- قطعة مدفعية.
- رتل قادم من عنابة الذي كان يقوده العقيد "سينيل" وكان يتكون من 03 كتائب من المشاة – 03 قطع من المدفعية – 1200 من القوم، سفينة حربية[41].

إعتمد الجنرال "برغواي ديلار" خطة تقوم على عنصر المباغتة والمواجهة على ثلاث جبهات في وقت واحد لإضعاف أي محاولة لتنسيق المقاومة ونجح في ذلك، فقد بدأ الرتل القادم من قالمة باختراق عرش زردازة ووصل يوم 24 ماي إلى وادي الريحان بعنابة، أما الرتل القادم من عنابة فقد إخترق أعراش مرداس – الشافية وأولاد مسعود ووصل يوم 25 ماي 1843 إلى سوق أهراس[42].

أما الرتل القادم من قسنطينة فقد هاجم أولاد ضاعن والكسالنة وكانت الخطة الفرنسية ترمي إلى محاصرة الحسناوي وهو ما كاد يتحقق ففي الوقت الذي قاوم فيه الحسناوي الرتلين القادمين من قسنطينة وقالمة، كلف العقيد "سينيل" قائد قوات الرتل القادم من عنابة يقطع طريق إنسحاب الحسناوي إلى تونس[43].

وهكذا نجحت القوات الفرنسية في دخول وسط منطقة سوق أهراس والقضاء على مقاومة الحنانشة لكنها لم تنجح في إخضاع باقي القبائل المجاورة لمنطقة الحنانشة، حيث إستمرت المقاومة في أولاد مومن وأولاد ضياء في أقصى شرق سوق أهراس، وأولاد خيار في جنوب تاورة.

فإستنفرت هذه المقاومة المزيد من الوقت حتى نهاية 1843م لتصبح منطقة سوق أهراس في 28 أوت من نفس السنة جزءا من الإدارة الفرنسية و تمت مكافئة الشيخ الرزقي بتعيينه شيخا على عرش الحنانشة ولكبر سنه تنازل عن المنصب لإبن أخيه محمد الصالح الشابي، غادرت القوات الفرنسية المنطقة إلى قسنطينة مع بقاء فصيلة لدعم شيخ الحنانشة الجديد.

الخـــاتمـــة:

---

[41]- جمال ورتي ،المرجع السابق ص 87.

[42]- الصادق بحوش: المرجع السابق ، ص 18.

[43]- جمال ورتي : المرجع نفسه، ص 87.

قبيل الغزو الفرنسي كانت منطقة سوق أهراس مقاطعة إدارية تابعة لبايلك الشرق، بقيادة الحاج أحمد باي غير أن علاقة الحكم لم تكن مثلما كانت عليه منطقة قسنطينة بسبب طبيعة نظام القبيلة في سوق أهراس، ولهذا بذل أحمد باي جهودا لاستمالة القبائل والحفاظ على سلطة الدولة العثمانية بشكل مباشر.

بعد إحتلال منطقة عنابة من الشمال، ومنطقة قسنطينة من الغرب بدأت القيادة الفرنسية في التخطيط للتوجه نحو باتنة وتبسة وكان نجاحهم في ذلك مرتبط بالاستيلاء على منطقة سوق أهراس ذات الأبعاد الجغرافية والاجتماعية المعقدة.

لذلك لجأت قيادة الجيش الفرنسي إلى عمليات استطلاعية، وجس النبض عن طريق بعض المتعاونين معها، دون التوغل في أراضي قبيلة الحنانشة، فقدأرسلت فرنسا أول فرقة عسكرية بقيادة الرائد "جاميت" في 08 فيفري 1839 من أجل نصرة الشيخ الرزقي، لكنها فشلت واستقرت في قالمة .

جهزت فرنسا أول حملة لأحتلال منطقة سوق أهراس بقيادة الجنرال راندون بحامية عسكرية قوامها 1000 جندي، إنطلاقا من قالمة مرورا بمنطقة عين السودة القريبة من سدراتة، لكن الحملة فشلت الحملة .

في نهاية خريف 1842 م عينت القيادة الفرنسية الجنرال "براغوي ديلار" لقيادة حملة إخضاع منطقة سوق أهراس وقرر إعتماد خطة جديدة تقوم على إختراق المنطقة من جميع الجهات، ولم يعتمد على غزو المنطقة من جهة الغرب، كما فعل سابقوه وإعتمد خطة تقوم على عنصر المباغتة والمواجهة على ثلاث جهات في وقت واحد لإضعاف أي محاولة لتنسيق المقاومة ونجح في ذلك، ووصل يوم 25 ماي 1843 إلى سوق أهراس.

وهكذا نجحت القوات الفرنسية في دخول وسط منطقة سوق أهراس والقضاء على مقاومة الحنانشة لكنها لم تنجح في إخضاع باقي القبائل المجاورة لمنطقة الحنانشة، حيث إستمرت المقاومة في أولاد مومن وأولاد ضياء في أقصى شرق سوق أهراس، وأولاد خيار في جنوب تاورة.

فإستنفرت هذه المقاومة المزيد من الوقت حتى نهاية 1843م لتصبح منطقة سوق أهراس في 28 أوت من نفس السنة جزءا من الإدارة الفرنسية .

قامت الإدارة الفرنسية ببناء حامية لإخماد قوات القبائل المتاخمة، وبعدها في سنة 1853تم بناء ملحقة إدارية دائمة تابعة لقسمة عنابة، وأضطلع بمهمة التخطيط للمركز المستقبلي العقيد تورفيل (Tourville) .

وبني فوق آثار المدينة التاريخية طاغاست مدينة سوق أهراس بشكلها الحالي من حيث التخطيط والعمران الذي تحول مع وفود عائلات من الفلاحين والتجار المعمرين الأوروبيين إلى تجمع سكاني كبير.

وفي 15 سبتمبر 1858بقرار من نابليون الثالث أصبح مركز لمواطنين أوروبين يحمل أسم (سوق أهراس)، أعتمد هذا المركز رسميا سنة 1861وأصبح تابعا لدائرة عنابة، مقاطعة قسنطينة، وفي 22 أوت 1867وبمرسوم حكومي أنتقلت سوق أهراس إلى رتبة بلدية كاملة الصلاحيات ، وأول رئيس بلدية لها هو ميشال ديرونMichel DEYRON) .

وتطورت المدينة بإنشاءات جديدة منها المستشفى العسكري في سنة 1880وتم تشييد مدرسة إين خلدون حاليا ، و قاعة للحفلات سنة 1928، مسرح سنة 1931، وبناء متحف المدينة سنة 1887 الذي لا يزال تحفة معمارية ، كما بنيت كنيسة سنة 1870والحديقة العمومية و محطة قطار عام 1910 أسست الإدارة الاستعمارية سكة الحديد لتتمكن من أستغلال الثروات المنجمية .

- **قائمة المصادر والمراجع :**

1- الطاهر جبلي: دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954-1962، د.ط، دار الامة، الجزائر، 2015.

2- أحمد توفيق المدني: جغرافيا القطر الجزائري، الناشئة الإسلامية، د.ط، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1948.

3- أحمد صقر: مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، د.ط، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959، ص.353

4- إبن خلدون: عبد الرحمن إبن خلدون: العبر و ديوان المتبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق علي شحاذة: ج6 ، دار الفكر، بيروت - لبنان،2000 .

5- عبد الرزاق قشوان: السلطة المحلية في بايلك قسنطية (936 هـ -1253 هـ ، 1592 - 1837 م) ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02 ، 2009-2010 .

6- مصطفي عبيد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث في العهد العثماني، قسم تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة المسيلة.

7- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ج ،2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992ص .

8- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم، د.ط، الجزائر، 2005.

9- عبد القادر نايلي: المقاومات والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية، د/ط، دار الهدى، الجزائر،2013، ص40 .

10- جمال خزشي: الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، تر عبد السلام عزيزي، دط، دار القصبة، الجزائر، ص59.

11- الصادق بحوش: الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية مقاربة في دراسة الخلفية، دط، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

12- سلاماني عبد القادر: الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية 1832- 1847، دط، دار قرطبة ، الجزائر ، 2013 .

13- أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808- 1847)، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004.

14- -LOUIS PIERRE ITNIERAIRE HISTORIQUE ET DESERPITIF DE L'ALGERIE ,PARIS ,1862 .

15- Le Vte de Caix de Saint-Aymour, Questions Algériennes Arabes et Kabyles, Paris, Paul ollendorff, éditeur, 1891,

16- Charles féraud, Les Harar seigneurs des Hanencha, études historiques sur la province de constantine, Revue Africaine, volume 18, Année 1874, Alger, A.Jourdan, libraire-éditeur, 1874.

17- Charles féraud, Ain Beida (province de constatntine), Revue Africaine, volume 16, Année 1872, Alger, A.Jourdan, libraire-éditeur, 1872.-

18- Charles féraud, Documents pour servir à l'Histoire de Philippeville, Revue Africaine, volume 20, Année 1876, Alger, A. Jourdan, libraire-éditeur, 1876.

19- M.Albert Grévy, état actuel de l'Algérie, Alger, Imprimerie Administrative Gojosso et cie, 1880.

20- M.Louis Tirman, Etat actuel de l'algérie, Alger, Imprimerie Administrative Gojosso et cie, 1881.

21- M.Le Génaral Chanzy, M.Le Myre de Vilers, état actuel de l'Algérie, Alger, Imprimerie Administrative Gojosso et Cie, 1878.

22- M.Louis Tirman, état actuel de l'Algérie, Alger, Imprimerie de l'association ouvrière P.Fontana et cie, 1883.

23- Lacanaud, E, L'Algérie au point de vue de l'économie sociale, Alger-Mustapha, Giralt, Imprimeur-Photograveur, 1900.

24- Paul Bourde, à travers l'Algérie, souvenirs de l'excursion parlementaire (septembre-octobre 1879), Paris, G. Charpentier, éditeur, 1880.

25- Alfred Baroudon, Algérie te Tunisie : récits de voyage et études, Paris Librairie Plon, 1893.